OPEN ACCESS
Received: 29 -10 -2025
Accepted: 09- 01-2026

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

Deviation to the Active Participle in Quranic Discourse: A Semantic Study

Dr. Esam Bin Abdulaziz Bin Mohammed Al-Khateeb *

ealkhateeb@kfu.du.sa

Abstract

This study investigates the rhetorical and semantic phenomenon of deviation to the active participle in the Quran, focusing on its role in demonstrating the precision of Quranic expression and lexical selection. Adopting a semantic approach, the research traces instances in which the Quran departs from verbal or nominal forms in favor of the active participle, revealing the expressive purposes underlying this choice. The study is structured into a theoretical preface that examines the semantic implications of the active participle and the concept of rhetorical deviation, followed by two main sections analyzing deviations from verbs and from nouns. The findings show that classical grammarians and rhetoricians differed in determining whether the active participle primarily conveys occurrence or permanence, while Quranic exegetes tended to rely on rhetorical insights in interpreting these usages. The analysis further demonstrates that deviation to the active participle is widespread in the Quran and that its semantic motivation varies according to context. In most cases, the active participle conveys meanings of permanence and continuity, while in other contexts it signals inevitable realization or the imminence of an event. The study concludes that deviation to the active participle represents a deliberate Quranic strategy that enriches meaning and enhances the rhetorical depth of Quranic discourse.

Keywords: Active Participle, Rhetorical Deviation, Quranic Discourse, Semantics, Lexical Meaning.

* Associate Professor of Syntax and Morphology, Department of Arabic Language, College of Arts, King Faisal University, Saudi Arabia.

Cite this article as Al-Khateeb, E. B. A. B. M. (2026). Deviation to the Active Participle in Quranic Discourse: A Semantic Study, *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *8*(1): 414 -433 https://doi.org/10.53286/st11d946

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2025/10/29م
تاريخ القبول2026/01/09م

العدول إلى اسم الفاعل في البيان القرآني: دراسة دلالية

د. عصام بن عبدالعزيز بن محمد الخطيب*
ealkhateeb@kfu.du.sa

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن ظاهرة العدول إلى اسم الفاعل في القرآن، وبيان أهميتها في إبراز دقة البيان القرآني في اختيار الألفاظ ودلالاتها؛ عبر تتبع مواضعها ودراستها دراسة دلالية تكشف أسرارها وخفاياها. وقد انتظم هذا البحث في مقدمة، وتمهيد نظري يستكشف اسم الفاعل ودلالته، والعدول وأهميته، ومبحثين، يتناول الأول منهما دراسة شواهد العدول من فِعل، ويتناول المبحث الثاني دراسة شواهد العدول من اسم، وقد توصل البحث في خاتمته إلى نتائج مهمة، أبرزها: اختلاف النحاة والبلاغيين في دلالة اسم الفاعل على الحدوث أو الثبوت، واعتماد المفسرين كلام البلاغيين في ذلك، وكانت شواهد العدول إلى اسم الفاعل كثيرة جدًا في القرآن، وقد اعتنى المفسرون بالكشف عن أسرارها، وكان السر في العدول إلى اسم الفاعل يختلف من آية إلى أخرى؛ إلا أن أكثرها كان يعود إلى دلالة الثبوت والدوام في اسم الفاعل، وأحيانًا كان يعود إلى دلالته على الوقوع لا محالة، وقد يراد به قرب الوقوع.

الكلمات المفتاحية: اسم الفاعل، العدول البلاغي، البيان القرآني، علم الدلالة، دلالة الألفاظ.

* أستاذ النحو والصرف المشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: الخطيب، ع. ب. ع. ب. م. (2026). العدول إلى اسم الفاعل في البيان القرآني: دراسة دلالية، *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *8*(1): 414- 433 https://doi.org/10.53286/st11d946

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

مقدمة:

إن القرآن الكريم بحر زاخر بالبلاغة والإعجاز اللغوي، وتتجلى روعة بيانه في توظيفه الدقيق لمختلف الأساليب، ودقته المتناهية في اختيار المفردة وصيغتها الصرفية، ومن أبرز الأساليب المبهرة في هذا الكتاب المعجز ظاهرة العدول الصرفي، حيث يترك البيان القرآني الأصلَ اللغوي المتبادر إلى الذهن من السياق؛ ليختار صيغة أخرى تحمل دلالات أعمق، وأغراضًا بلاغية أسمى، ومن أنواع هذه الظاهرة الملفتة للأنظار: العدول إلى اسم الفاعل، وهو استخدام اسم الفاعل بديلًا عن صيغة أخرى كان استخدامها متوقعًا في السياق.

ولجمال هذه الظاهرة اخترتها موضوعًا لهذا البحث، الذي سيحاول تتبع مواضع هذا العدول إلى اسم الفاعل في آيات الذكر الحكيم، محللًا الأسرار البلاغية لإيثار صيغة اسم الفاعل على غيرها من الصيغ، وكيف يسهم هذا الاختيار في تصوير المشاهد الذهنية، وترسيخ الحقائق الإيمانية، مستندًا إلى آراء المفسرين والنحويين والبلاغيين؛ للوقوف على أثر هذا العدول في إثراء المعنى القرآني.

وتكمن أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على هذه الظاهرة في القرآن، وإثبات أن العدول إلى اسم الفاعل ليس مجرد تغيير شكلي، بل هو وسيلة لإضفاء معانٍ جديدة تتعلق بالحدوث، أو الثبوت، أو المبالغة، أو تخصيص المعنى، مما يثري النص القرآني ويجعله يتجاوز دلالات الألفاظ المباشرة إلى عمق المعنى المراد إيصاله.

وتتمحور مشكلة البحث حول التساؤلات الآتية:

كيف يتم العدول إلى اسم الفاعل في القرآن الكريم؟

ما هي الأغراض البلاغية والدلالية التي يحققها هذا العدول؟

ما هي الأنماط التي يظهر بها (كالعدول من الفعل أو المصدر أو غيرهما)؟

ولذلك فإن هذا البحث يهدف إلى الكشف عن ظاهرة العدول إلى اسم الفاعل في القرآن الكريم، وبيان أهميتها في إبراز دقة البيان القرآني في اختيار الألفاظ ودلالاتها؛ عبر تتبع مواضعها ودراستها دراسة دلالية تطبيقية تكشف أسرارها وخفاياها.

وسيتم تقسيم البحث إلى: **مقدمة**، **وتمهيد** نظري يستكشف اسم الفاعل ودلالته، والعدول وأهميته، **ومبحثين** تطبيقيين، يتناول المبحث الأول العدول من فِعل، ويتناول المبحث الثاني العدول من اسم، ويستعرضان ما تيسر الوقوف عليه من شواهد العدول القرآنية، ودراستها دراسة دلالية تطبيقية، ثم **خاتمة** تضم أهم نتائج البحث وتوصياته.

وقد وقفت على بعض الدراسات القريبة من موضوع هذا البحث:

الأولى بعنوان: العدول الصرفي في القرآن الكريم (دراسة دلالية)، وهي أطروحة دكتوراه تقدم بها د. هلال علي محمود إلى كلية الآداب بجامعة الموصل عام 2005م. تناول فيها العدول الصرفي في القرآن بالدرس والتحليل وفق المنهج الدلالي؛ وقسم البحث إلى ثلاثة فصول ومقدمة وتمهيد وخاتمة، اهتم التمهيد بالتعريف بالعدول لغة واصطلاحا، وتضمن الفصل الأول دراسة عن العدول في العربية بشكل عام، وتناول الفصل الثاني العدول الصرفي عن الأصل في القرآن، وتناول الفصل الثالث العدول الصرفي عن القياس في القرآن، وتوصل البحث إلى أن العدول الصرفي في اللغة هو خروج من صيغة إلى أخرى بشكل منتظم ومنضبط، بعدول عن الأصل، وعدول عن القياس، وقد توضّحت دلالات خاصة لكل نوع في القرآن الكريم.

وهذه الدراسة عامة في جميع أنواع العدول الصرفي، ولم يحظ فيها العدول إلى اسم الفاعل إلا على نصيب يسير مع بعض الأمثلة الموضحة.

الثانية بعنوان: اسم الفاعل في القرآن الكريم دراسة صرفية نحوية دلالية في ضوء المنهج الوصفي، وهي رسالة ماجستير مقدمة من: سمير محمد عزيز في جامعة النجاح الوطنية بنابلس عام 2004م. حظي فيها اسم الفاعل في القرآن بدراسة إحصائية وصرفية ونحوية ودلالية في ثلاثة فصول، الأول عن اسم الفاعل في الفكر العربي وما يتصل به من حيث المفهوم والإعمال، والثاني عن أوزان اسم الفاعل في القرآن، وقدّم في الثالث دراسة إحصائية ودراسة دلالية لاسم الفاعل، ثم تطبيق هذه الدراسة الدلالية على القرآن الكريم.

وقد جمعت هذه الدراسة كل ما يتعلق باسم الفاعل نحويًا وصرفيًا ودلاليًا، إلا أن العدول إلى اسم الفاعل لم يحظ فيها بتركيز خاص.

الثالثة بعنوان: التحول الصرفي إلى اسم الفاعل في القرآن الكريم بين التفسير الاعتباطي والإعجاز القرآني، وهو بحث نشره د. كاطع جارالله صدام في مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب في عام 2012م. ويعدّ البحث محاولة جادة في نقض ظاهرة التحول الصرفي في ألفاظ القرآن الكريم؛ إذ إنّ المراد بالتحول الصرفي: أن تنوب صيغة صرفية عن صيغة أخرى تؤدّي معناها وتظفر بموقعها في السياق، وهو بهذا المعنى ضرب من تحريف الكلم عن مواضعه، ولا يتحقق الإعجاز القرآني بالمعنى العميق الذي اقترحه المفسر أو اللغوي، بل بمعنى اللفظ الظاهر كما هو في المصحف، وقد اختار البحث لتطبيق فكرته الرئيسة عشرة أمثلة قرآنية جاءت على بناء فاعل، تعدّدت أقوال اللغوين والمفسرين في تلمّس دلالتها، كآية: ﴿في عيشة راضية﴾ ، وقد سلك البحث إلى تطبيق فكرته عدة سبل، أبرزها: توخي التعبير الدقيق الذي يتحقق به الإعجاز القرآني، ولا يتحقق بغيره .

وهذا البحث مختص بالعدول الصرفي الذي يتجاوز الصيغة الأولى لفظًا لا دلالة، وهذا النوع قد أعرض عنه بحثي هذا كما سيأتي في التمهيد.

هذه أهم الدراسات السابقة المقاربة لهذا البحث في موضوعه، وقد لاحظت أنها جميعًا تعتني بالجانب النظري، مع بعض الأمثلة التي توضح الفكرة، ولذلك جعلت بحثي بحثًا تطبيقيًا بشكل كامل مع تمهيد نظري موجز؛ حتى يكون مكملًا للدراسات السابقة؛ لأن الأمثلة التطبيقية الكثيرة هي التي تنمي ذائقة الدارس.

كما أن بعض هذه الدراسات وغيرها مما يشبهها كانت تعني بالعدول: التناوب بين الصيغ الذي سأوضحه في التمهيد، والذي أعرضت عنه في بحثي.

ولذلك فإن مزية هذا البحث عن جميع تلك الدراسات السابقة وغيرها، أنه بحث تطبيقي بشكل كامل، مختص بالعدول إلى اسم الفاعل مع الانتقال إلى دلالته، وقد جمع عددًا كبيرًا من الشواهد التي لم يجمعها أو يقاربها بحث غيره.

التمهيد:

عرّف النحاة اسم الفاعل بأنه "ما اشتقّ من فعل لمن قام به بمعنى الحدوث" (ابن الحاجب، 2010، ص 40)، وهذا يعني أنه اسم يحمل في طياته الحدث وفاعله، وأما صياغته فإنه "يوازن في الثلاثي المجرد: (فاعلًا)، وفي غيره: المضارع مكسور ما قبل الاخر، مبدوءًا بميم مضمومة" (الجياني، 1967، ص136)، وقد جعله النحاة "كالفعل في إفادة معنى الحدوث، والصلاحية لاستعماله بمعنى الماضي والحال والاستقبال"(المرادي، 2008: 2/ 875) فإذا قلنا: هذا الرجل صابر؛ فهذا يعني أنه قد حدث له ما يحتاج إلى الصبر فصبر، أما إذا كنا نقصد أن الصبر صفة دائمة ثابتة له؛ فإن هذه الصيغة تعامل معاملة الصفة المشبهة باسم الفاعل؛ لأنها هي التي تفيد الثبوت عند النحاة، قال المرادي: "ولذلك إذا قصد باسم الفاعل الثبوت

عُومِل معاملة الصفة المشبهة، وإذا قصد بالصفة الحدوث حُوِّلت إلى بناء اسم الفاعل" (المرادي، 2008: 2/ 875)، فدلالة اسم الفاعل عند النحاة تحمل معنى الحدوث.

أما البلاغيون فقد أطلقوا دلالة الثبوت على الاسم، وجعلوا دلالة الحدوث للفعل فقط، قال عبدالقاهر: "الفعل يقتضي مزاولةَ وتجدُّدَ الصفةِ في الوقتِ، ويَقْتضي الاسمُ ثُبوتَ الصفةِ وحُصولها من غيرِ أن يكونَ هناك مُزاولةٌ وتَزْجيةُ فعلٍ، ومعنىً يَحْدُث شيئًا فشيئًا"(الجرجاني، 1992: 1/ 175)، وقال السكاكي: "(زيد عالم) يفيد الثبوت صريحًا، فأصل الاسم - صفةً أو غيرَ صفة - الدلالة على الثبوت"(السكاكي، 1987، ص 207)، "وجعل الميداني: الصفة المشبهة، واسم الفاعل في عداد واحد، وسمى الجميع اسم الفاعل"(الإسفراييني، د.ت: 1/ 451). هذا هو الأصل في دلالة الاسم عندهم، وقد يراد به الحدوث لقرينة تدل عليه، قال الإسفراييني: "اسم الفاعل لما كان جاريا على لفظ الفعل، جاز أن يقصد به الحدوث بمعونة القرينة" (الإسفراييني، د.ت: 451/1).

وقد قرر الدسوقي هذا الخلاف بين النحاة والبلاغيين بقوله: "ما تقرر من أن الاسم إنما يفيد الثبوت دون الحدوث، أي: الحصول بعد العدم، يخالفه ما ذكره ابن الحاجب في تعريف اسم الفاعل، من أنه ما اشتق لغرض الحدوث؛ فقد اعتبر الحدوث في مفهومه، فإما أن يرى أن النحويين يخالفون أهل المعاني، وإما أن يقال: مراده أنه يفيد الحدوث غالبًا بقرائن خارجية" (التفتازاني، د.ت: 2/ 41)، ولا شك أن ابن الحاجب لا يريد تقييد الحدوث بالقرائن؛ فتعريفه هو تعريف غيره من النحاة.

وعندما تتبعت دلالة اسم الفاعل في القرآن الكريم؛ وجدت المفسرين - حتى النحاة منهم - يعتمدون كلام البلاغيين في دلالة اسم الفاعل على الثبوت والدوام، وقد اعتمدت على كلامهم في توضيح شواهد هذا البحث، ولعل النحاة في كتب التفسير قد تساهلوا في ذلك؛ لتقارب اسم الفاعل والصفة المشبهة باسم الفاعل في الصياغة والدلالة.

وقد كانت هذه الدلالة المهمة لاسم الفاعل أول ما ينظر إليه المفسرون عندما يقررون كون اسم الفاعل مقصودًا لذاته، أو معدولًا به عن صيغة أخرى من المصادر والمشتقات.

وأصل العدول: الميلان والانتقال، قال ابن منظور: "عَدَلَ عَنْهُ، يَعْدِلُ، عُدولًا؛ إِذا مَالَ، كأَنه يمِيلُ مِنَ الْوَاحِدِ إِلى الآخَرِ" (ابن منظور، 1414: 11/ 435).

وقد كثر العدول بين صيغ المشتقات، وألفت فيه مؤلفات، إلا أن هذا العدول نوعان:

الأول: العدول من صيغة إلى صيغة أخرى مع بقاء دلالة الصيغة المعدول عنها، كالعدول من اسم المفعول إلى اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿**خلق من ماء دافق**﴾ [الطارق: 6]، فمعنى (دافق): (مدفوق)، وقد ناب فيها اسم الفاعل عن اسم المفعول مع بقاء دلالة اسم المفعول لنكتة بلاغية (القرطبي، 1964: 20/ 4).

وهذا النوع من العدول هو الذي سار عليه معظم من رأيت من الباحثين في العدول بين المشتقات، وسماه بعضهم بالتحول الصرفي، وسماه آخرون بالتناوب بين المشتقات.

الثاني: العدول من صيغة إلى صيغة أخرى مع انتقال الدلالة إلى دلالة الصيغة الجديدة، كالعدول من الفعل إلى اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿**أدعوتموهم أم أنتم صامتون**﴾ [الأعراف: 193]، والأصل: أدعوتموهم أم صَمَتُّم، فقد تغيرت الدلالة من الحدوث والتجدد في الفعل المعدول عنه (صَمَتُّم)، إلى الثبوت والدوام في اسم الفاعل (صامتون)المعدول إليه (الزمخشري، 1987: 2/ 188).

وقد تكلم عن هذا العدول بعض الباحثين، وخلط بعضهم بين النوعين.

وقد أعرضت في بحثي هذا عن النوع الأول، واخترت النوع الثاني؛ لأنه أكثر استعمالًا في القرآن الكريم وغيره من النصوص العربية البليغة، ولذلك فإن إمعان النظر في تطبيقاته الكثيرة يوقِف الدارس على بلاغة الكلام المدروس، فقد قال ابن الأثير: "واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان، أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطلع على أسرارها، وفتش عن دفائنها، ولِ۪ا تجد ذلك في كل كلام، فإنه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقها فهمًا، وأغمضها طريقًا"(ابن الأثير، د.ت: 2/ 145).

وقد اعتمدت على كلام المفسرين في الكشف عن هذا العدول إلى اسم الفاعل؛ وقد قسمت ما جمعته من الشواهد إلى مبحثين:

المبحث الأول: العدول من فِعْل.

المبحث الثاني: العدول من اسم.

المبحث الأول: العدول من فِعْل

وردت كثير من الآيات التي يقتضي ظاهر السياق فيها استخدام فعل في أداء المعنى المراد؛ وإذا بالبيان القرآني يعدل عن الفعل إلى اسم الفاعل، وهنا ينبري المفسرون للكشف عن سبب هذا العدول، ويوضحون ما لدلالة اسم الفاعل من أهمية في ذلك السياق، جعلت البيان القرآني يعدل إليه عن الفعل. وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

1. قال الله تعالى: ﴿**أَيُشْرِكُونَ ما لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ * وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَواءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ**﴾ [الأعراف: 191 – 193].

ينكر الله تعالى على المشركين عبادتهم أصنامًا لا تنفعهم ولا تضرهم، ولذلك فإنهم إذا أصابهم كرب لا يلجؤون إليها؛ بل إلى الله تعالى، ويؤكد لهم بأن هذه الأصنام لن تستجيب لهم؛ سواء طلبوا منها أم صمتوا عن ذلك. ولكن البيان القرآني عدل عن هذا الفعل الأخير إلى اسم الفاعل (صامتون)، فعلق الزمخشري على ذلك بقوله: "إن قلتَ: هلا قيل: أم صَمَتُّم؟ قلتُ: لأنهم كانوا إذا حزبهم أمر دعوا الله دون أصنامهم، فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم، فقيل: إن دعوتموهم لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم، وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم"(الزمخشري، 1987: 2/ 188). فالصمت عن الطلب من الأصنام هو الحالة الدائمة الثابتة للمشركين، ولذلك عبر عنها باسم الفاعل الدال على الثبوت؛ بدلًا من الفعل الدال على التجدد والحدوث.

وقال الكرماني: "كان القياس أدعوتموهم أم صمتم، لكنه عدل إلى اسم الفاعل مراعاة لفواصل الآي، ولأن اسم الفاعل يفيد ما يفيد الماضي وزيادة"(الكرماني، د.ت: 1/ 431). وهذه نكتة أخرى لهذا العدول، وهي مراعاة فواصل الآي، فيكون للعدول سببان: أحدهما شكلي وهو مراعاة الفواصل، والآخر معنوي للدلالة على الثبوت.

وعندما ذكر الله تعالى قصة سجود الملائكة لآدم عليه السلام، وعناد إبليس وإباءه السجود في قوله سبحانه: ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين**﴾ [البقرة: 34].

ختم الآية باسم الفاعل (الكافرين)، "وكان مقتضى الظاهر أن يقول: (وكفر)، كما قال: (أبى واستكبر)، فعدل عن مقتضى الظاهر إلى (وكان من الكافرين") (ابن عاشور، 1984: 1/ 427) فعبر باسم الفاعل الدال على الثبوت؛ ليؤكد أن كفره هو الأصل الثابت الذي نتجت عنه الأفعال المتجددة من الإباء والاستكبار.

"وأما الإتيان بخبر (كان) (من الكافرين)، دون أن يقول: وكان كافرًا؛ فلأن إثبات الوصف لموصوف بعنوان كون الموصوف واحدًا من جماعة تثبت لهم ذلك الوصف؛ أدل على شدة تمكن الوصف منه مما لو أثبت له الوصف وحده؛ بناء على أن الواحد يزداد تمسكًا بفعله إذا كان قد شاركه فيه جماعة؛ لأنه بمقدار ما يرى من كثرة المتلبسين بمثل فعله تبعد نفسه عن التردد في سداد عملها ... وهو دليل كنائي، واستعمال بلاغي، جرى عليه نظم الآية وإن لم يكن يومئذ جمع من الكافرين، بل كان إبليس وحيدا في الكفر.

وفي هذا العدول عن مقتضى الظاهر مراعاة لما تقتضيه حروف الفاصلة أيضًا" (ابن عاشور، 1984: 1/427).

2. وقال الله تعالى: ﴿**وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين**﴾ [العنكبوت: 11].

يؤكد البيان القرآني أن الله تعالى سيميز المؤمنين الصادقين عن المنافقين بالابتلاءات والمحن؛ ليظهر ما في قلوبهم، وقد فرق التعبير القرآني بين المؤمنين والمنافقين؛ فعبر عن المؤمنين بالفعل الماضي، وعن المنافقين باسم الفاعل، وكان مقتضى السياق أن يقال: وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن الذين نافقوا، ولكن البيان القرآني قد عدل عن الفعل الثاني إلى اسم الفاعل، فعلق على ذلك ابن عاشور بقوله: "والمخالفة بين المؤمنين والمنافقين في التعبير عن الأولين بطريق الموصول والصلة الماضوية، وعن الآخرين بطريق اللام واسم الفاعل؛ لما يؤذن به الموصول من اشتهارهم بالإيمان، وما يؤذن به الفعل الماضي من تمكن الإيمان منهم وسابقيته، وما يؤذن به التعريف باللام من كونهم عهدوا بالنفاق، وطريانه عليهم بعد أن كانوا مؤمنين، ففيه تعريف بسوء عاقبتهم" (ابن عاشور، 1984: 20/ 218).

وقال صديق حسن: "وتغيير الأسلوب حينما عبر في الأول بالفعل، وفي الثاني باسم الفاعل تفنن لرعاية الفاصلة" (القنوجي، 1992: 10/ 172).

3. وقال الله تعالى: ﴿**ويزداد الذين آمنوا إيمانا، ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون**﴾ [المدثر: 31].

وهذا جزء من الآية الطويلة التي بين الله تعالى فيها أنه جعل عدد خزنة النار اختبارًا للناس؛ ليشكك فيه الكفار والمنافقون، ويزداد به إيمان المؤمنين وأهل الكتاب، ويثبتون على الحق. وقد عبر البيان القرآني عن المؤمنين مرة بالفعل، ومرة باسم الفاعل، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: ويزداد الذين آمنوا إيمانًا، ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والذين آمنوا، ولكنه عدل عن الفعل الثاني إلى اسم الفاعل.

قال ابن عجيبة: "والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المُنبئة عن الحدث؛ للإيذان بثباتهم على الإيمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك" (الحسني، 1419: 7/ 179).

4. وقال تعالى: ﴿**وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ**﴾ [البقرة: 26-27].

تتحدث الآيتان عن صفات من أضلهم الله تعالى عن الاستفادة من أمثال القرآن وآياته، وهي الفسق ونقض العهد وقطع ما أمر الله به أن يوصل والإفساد في الأرض، وقد أوردها البيان القرآني أفعالًا مضارعة إلا صفة الفسق؛ فقد عدل فيها عن التعبير بالفعل إلى اسم الفاعل، وقد علل ذلك أبو حيان بقوله: "وَتَرْتِيبُ هَذِهِ الصِّلَاتِ فِي غَايَةٍ مِنَ الحُسْنِ، لأَنَّهُ قَدْ بَدَأَ أَوَّلًا بِنَقْضِ الْعَهْدِ، وَهُوَ أَخَصُّ هَذِهِ الثَّلَاثِ، ثُمَّ ثَنَّى بِقَطْعِ مَا أَمَرَ اللهُ بِوَصْلِهِ، وَهُوَ أَعَمُّ مِنْ نَقْضِ الْعَهْدِ وَغَيْرِهِ، ثُمَّ أَتَى ثَالِثًا بِالإِفْسَادِ الَّذِي هُوَ أَعَمُّ مِنَ الْقَطْعِ، وَكُلُّهَا ثَمَرَاتُ الْفِسْقِ، وَأَتَى بِاسْمِ الْفَاعِلِ صِلَةً لِلأَلِفِ وَاللامِ؛ لِيَدُلَّ عَلَى ثُبُوتِهِمْ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ، فَيَكُونُ وَصْفُ الْفِسْقِ لَهُمْ ثَابِتًا، وَتَكُونُ النَّتَائِجُ عَنْهُ مُتَجَدِّدَةً مُتَكَرِّرَةً، فَيَكُونُ الذَّمُّ لَهُمْ أَبْلَغَ لِجَمْعِهِمْ بَيْنَ ثُبُوتِ الأَصْلِ وَتَجَدُّدِ فُرُوعِهِ وَنَتَائِجِهِ" (أبو حيان، 2000: 1/ 208).

5. وعندما كان القرآن يؤكد حتمية يوم القيامة، وينفي الشك فيها، وهي أمر مستقبليّ لم يقع بعد؛ كان المتوقع استعمال الفعل المضارع الدال على المستقبل؛ كأن يقال: إن الساعة ستأتي بلا ريب، ولكن البيان القرآني قد عدل عن الفعل إلى اسم الفاعل، في قول الله تعالى: ﴿**إن الساعة آتية لا ريب فيها**﴾ [غافر: 59] مع أن اسم الفاعل حقيقة في الحال لا الاستقبال، وذلك للإيماء إلى أنها لما تحققت فقد صارت كالشيء الحاضر المشاهد، والمراد تحقيق وقوعها لا الإخبار عن وقوعها (ابن عاشور، 1984: 24/ 180).

6. وقال تعالى واصفًا مشهدًا من مشاهد سلوك المنافقين في المصانعة باللسان دون الإيمان بالقلب: ﴿**وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا وَإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ**﴾ [البقرة: 14].

ومع كثرة الأفعال في الآية إلا أن البيان القرآني يعدل عن الفعل إلى اسم الفاعل في قولهم: إنما نحن مستهزئون.

قال أبو حيان: "وَأَبْرَزُوا هَذَا فِي الإخبار في جملة اسمية مُؤَكَّدَةٍ بِإِنَّمَا مُخْبَر عَنِ الْمُبْتَدَأِ فِيهَا بِاسْمِ الْفَاعِلِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الثُّبُوتِ، وَأَنَّ الاسْتِهْزَاءَ وَصْفٌ ثَابِتٌ لَهُمْ، لا أَنَّ ذَلِكَ تَجَدد عِنْدَهُمْ، بَلْ ذَلِكَ مِنْ خُلُقِهِمْ وَعَادَتِهِمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ" (أبو حيان، 2000: 1/ 114).

7. وفي قصص الأنبياء يحكي البيان القرآني جدال عاد مع نبيهم هود عليه السلام، حيث يدعوهم، ويحاول وعظهم؛ ليهتدوا، فرفضوا دعوته بقولهم: ﴿**سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين**﴾ [الشعراء: 136] وكان مقتضى الظاهر أن يقولوا: سواء علينا أوعظتنا أم لم تعظنا، ولكن البيان القرآني قد عدل عن الفعل (لم تعظ) إلى اسم الفاعل (لم تكن من الواعظين)، وهنا يقول الزمخشري: "فإن قلت: لو قيل أَوَعَظْتَ أو لم تعظ، كان أخصر، والمعنى واحد، قلتُ: ليس المعنى بواحد، وبينهما فرق؛ لأنّ المراد: سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ، أم لم تكن أصلًا من أهله ومباشريه، فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه، من قولك: أم لم تعظ" (الزمخشري، 1987: 3/ 327).

وعلق الطيبي على كلام الزمخشري بقوله: "يعني: أتوا في طرف الإثبات بالفعل الصريح الذي دل على حصوله منه مرةً، وفي النفي باسم الفاعل على الاستغراق، نفوا أن يكون من زمرة من حصل منهم هذا الفعل، واستهزؤوا فيه، أي: سواءٌ علينا أجددت الوعظ أم استمررت على ما كنت عليه من الإمساك عنه والخمول فيه" (الطيبي، 2013: 11/ 397).

8. وفي مشهد من مشاهد قصة أصحاب الكهف؛ يقول الله تعالى مبينًا هيئة كلبهم: ﴿**وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ**﴾ [الكهف: 18]. وهنا نجد البيان القرآني يعدل عن الفعل (بسط) أو (يبسط) إلى اسم الفاعل (باسط)؛ ليفيد أنَّ الكلب على هيئة ثابتة هي بسط الذِّراعين بالباب، ولا توجد معها أية حركة.

قال عبدالقاهر: "فانظرْ إلى قوله تعالى: ﴿**وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ**﴾ فإنَّ أحدًا لا يَشكُّ في امتناعِ الفعلِ ههنا، وأنَّ قولَنا: كَلبُهم يبسُطُ ذراعَيه، لا يؤدِّي الغرضَ، وليس ذلك إلا لأنَّ الفعلَ يقتضي مزاولةً وتجدُّدَ الصفةِ في الوقتِ، ويَقْتضي الاسمُ ثُبوتَ الصفةِ وحُصولها من غيرِ أن يكونَ هناك مُزاولةٌ وتَزْجيةُ فعلٍ، ومعنىً يَحْدُث شيئًا فشيئًا. ... ولا تَجعل الكَلْبَ يفعل شيئًا، بل تُثْبتِهُ بصفةٍ هو عليها. فالغرضُ إذن تَأديةُ هيئةِ الكلبِ" (الجرجاني، 1992: 1/ 175).

9. وفي حوار ابني آدم عليه السلام، عندما تُقُبِّل القربان من أحدهما دون الآخر، فأراد أحدهما قتل أخيه؛ رد عليه أخوه بقوله: ﴿**لئن بسطت إليَّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك**﴾ [المائدة: 28] وكان مقتضى الظاهر أن يقول: فلن أبسط إليك يدي لأقتلك، ولكن البيان القرآني قد عدل عن الفعل (أبسط) إلى اسم الفاعل (باسط)، ولذلك قال الزمخشري: "فإن قلتَ: لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله: (لَئِنْ بَسَطْتَ ... ما أَنَا بِباسِطٍ)؟ قلتُ: ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع؛ ولذلك أكده بالباء المؤكدة للنفي" (الزمخشري، 1987: 1/ 625).

وأوضحه الطيبي بقوله: "أي: لا أفعل فعلًا يُشتق منه هذا الوصف، وهو أن يقال مثلًا: هو باسط اليد، فإن الفعل الصادر عن الشخص ملزوم كونه فاعلًا، فإذا انتفى اللازم لينتفي الملزوم على الكناية كان أبلغ وأدل على شناعة الفعل" (الطيبي، 2013: 5/ 338).

وقال الشهاب في سبب هذا العدول إلى اسم الفاعل: "العدول إلى الاسمية: للمبالغة في أنه ليس من شأنه ذلك، ولا ممن يتصف به،... وإنما امتاز اسم الفاعل عن الفعل بهذه الخصوصية من حيث إنّ صيغة الفعل لا تعطي سوى حدوث معناه من الفاعل لا غير، وأما اتصاف الذات به فذاك أمر يعطيه اسم الفاعل، ومن ثمة يقولون: قام زيد، فهو قائم؛ فيجعلون اتصافه بالقيام ناشئًا عن صدوره منه" (الخفاجي، د.ت: 3/ 233).

10. وفي دعوة نبي الله شعيب لقومه؛ يحاول أن يقنعهم بالإيمان بالله، وبأن رزقه الحلال خير من غشهم وتطفيفهم في معاملاتهم؛ فيقول: ﴿**بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين**﴾ [هود: 86] وهنا يعدل البيان القرآني عن الفعل (إن آمنتم) - الأقرب للسياق لأنهم لم يؤمنوا بعد - إلى اسم الفاعل (إن كنتم مؤمنين) الذي هو حقيقة في الاتصاف بالفعل في زمان الحال؛ تقريبًا لإيمانهم بإظهار الحرص على حصوله في الحال، واستعجالًا بإيمانهم؛ لئلا يفجأهم العذاب؛ فيفوت التدارك (ابن عاشور، 1984: 12/ 141).

11. وفي سياق قصة لوط مع قومه، وإنكاره عليهم ما يفعلونه من الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من البشر، يحكم عليهم بقوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: 81].

وهنا يعدل البيان القرآني عن استخدام الفعل (تسرفون)، كما جاء في سورة النمل (بل أنتم قوم تجهلون)، إلى اسم الفاعل (مسرفون)؛ ليدل على أن الإسراف من صفاتهم اللازمة لهم.

وفي ذلك يقول أبو حيان: "وَجَاءَ هُنَا (مُسْرِفُونَ) بَاسِمِ الْفَاعِلِ؛ لِيَدُلَّ عَلَى الثُّبُوتِ، وَلِمُوَافَقَةِ مَا سَبَقَ من رؤوس الآيِ فِي خَتْمِهَا بِالأَسْمَاءِ، وَجَاءَ فِي النَّمْلِ (تَجْهَلُونَ) بِالمُضَارِعِ؛ لِتَجَدُّدِ الْجَهْلِ فِيهِمْ، وَلِمُوَافَقَةِ مَا سَبَقَ مِنْ رؤوس الآيِ فِي خَتْمِهَا بِالأَفْعَالِ" (أبو حيان، 2000: 5/ 101).

12. وفي قصة بدء الخليقة: أخبر الله تبارك وتعالى ملائكته بأنه سيخلق آدم عليه السلام، ولكن البيان القرآني عدل عن الفعل المضارع الدال على الحدوث في المستقبل (سأجعل) إلى اسم الفاعل(جاعل)؛ للاستفادة من دلالته على الثبوت في الدلالة على أن الخلق حاصل لا محالة؛ فقال تعالى: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**﴾ [البقرة: 30]. قال أبو حيان: "وَجُعِلَ الخَبَرُ اسْمَ فَاعِلٍ، لأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الثُّبُوتِ دُونَ التَّجَدُّدِ شَيْئًا شَيْئًا" (أبو حيان، 2000: 1/ 226).

13. ومثل هذه الآية قول الله تعالى - تكريمًا لنبيه إبراهيم عليه السلام -: ﴿**إني جاعلك للناس إمامًا**﴾ [البقرة: 124] فإن مقتضى الظاهر استعمال الفعل الدال على المستقبل (سأجعلك)؛ لأن الجعل لم يحصل بعد، ولكن البيان القرآني عدل عنه إلى اسم الفاعل (جاعلك)؛ "للدلالة على أنه جاعل له البتةَ منْ غيرِ صارفٍ يلويهِ، ولا عاطفٍ يثنيهِ" (أبو السعود، د.ت: 1/ 155).

14. وفي مشهد من مشاهد قصة أم موسى عندما أمرها الله تعالى برمي ابنها في النهر، يبشرها سبحانه بأنه سيحفظه لها، ويرده إليها، ويجعله من المرسلين، فيقول تعالى: ﴿**إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين**﴾ [القصص: 7]. وهنا نرى البيان القرآني يعدل عن الفعل (سنرده ونجعله) المتوقع من السياق إلى اسم الفاعل؛ ليؤكد هذا الفعل وقرب حصوله؛ حتى يُسعد قلب الأم الذي سينفطر خوفًا على ابنها.

قال الصابوني: "إيثار الجملة الاسمية على الفعلية، ولم يقل: سنرده ونجعله رسولًا، وذلك للاعتناء بالبشارة؛ لأن الجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستمرار"(الصابوني، 1997: 2/ 393).

15. وفي دعوة الله تعالى عباده للتأمل في الطيور وهي تمدُّ أجنحتها وتضمها في الهواء، وأن الذي يمسكها في الجو، ويمنعها من السقوط هو الله تعالى بقدرته ورحمته، يقول المولى سبحانه: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ما يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ**﴾ [الملك: 19]، ويلاحظ هنا أن البيان القرآني قد استعمل الفعل المضارع الدال على الحدوث والتكرار (يقبضن)، وهو المتوقع للدلالة على حركة أجنحة الطيور. ولكنه عدل عنه إلى اسم الفاعل في قوله: (صافات)، وقد بين نور الدين عتر السر وراء ذلك بقوله: "اختار في المعنى الأول صيغة اسم الفاعل (صافَّاتٍ)، وفي المعنى الثاني الفعل المضارع (يَقْبِضْنَ)، ... فما السر في هذا الاختيار؟ إن الإعجاز العلمي الكامن وراء هذا التصوير هو الذي يكشف لنا سر هذا الاختيار. لقد عبّر القرآن عن بسط جناح الطائر في طيرانه باسم الفاعل (صافَّاتٍ)، وعبّر عن قبض الطائر جناحه وضربه جنوبه بجناحيه بصيغة الفعل (يَقْبِضْنَ)؛ ليأتي التصوير الفني في القرآن على غاية الدقة في موافقة قانون الطيران، وذلك لأن الأصل في قاعدة الطيران هو بسط أطراف الجسم الطائر في الهواء، وهو القانون الذي بنيت عليه الطائرات الحديثة بأنواعها، فجاء القرآن في تصويره للطيران بالتعبير عما هو طارئ بلفظ الفعل، لأنه يفيد الحدوث وعبّر عما هو الأصل بصيغة اسم الفاعل، أي أنهن في جو السماء صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة" (الحلبي، 1993، ص 230).

16. وبعد أن ذكر الله تعالى صفات أهل البر، من الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين والإنفاق في سبيل الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء بالعهد والصبر؛ اختتم الآية بقوله سبحانه: ﴿**أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**﴾ [البقرة: 177].

وكان المتوقع من السياق أن يكون: أولئك الذين صدقوا واتقوا؛ ولكن البيان القرآني قد عدل عن الفعل (اتقوا) إلى اسم الفاعل (المتقون).

ولذلك قال الحلبي: "وأتى بخبر (أولئك) الأولى: موصولًا بصلةٍ، وهي فعلٌ ماضٍ؛ لتحقُّقِ اتِّصافهم به، وأنَّ ذلك قد وَقَع منهم واستقرَّ. وأتى بخبرِ الثانيةِ: بموصولٍ، صلتُه اسمُ فاعل؛ ليدلَّ على الثبوت، وأنه ليس متجدِّدًا، بل صار كالسَّجِيَّةِ لهم. وأيضًا فلو أتى به فعلًا ماضيًا لَمَا حَسُنَ وقوعُه فاصلةً" (السمين الحلبي، د.ت: 2/ 251).

17. وقد مدح الله المتقين من عباده بأنهم يبصرون الحق، وإذا أصابتهم غفلة بسبب وساوس الشيطان تذكروا الله تعالى وعظمته؛ فعادوا إلى الحق، فقال سبحانه: ﴿**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**﴾ [الأعراف: 201]، وكان المتوقع من توالي الأفعال في الآية أن تكون العبارة: (تذكروا فأبصروا) ولكن البيان القرآني قد عدل عن الفعل (فأبصروا) إلى اسم الفاعل (مبصرون). قال ابن عاشور: "ووصفهم باسم الفاعل دون الفعل؛ للدلالة على أن الإبصار ثابت لهم من قبل، وليس شيئًا متجددًا، ولذلك أخبر عنهم بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبات" (ابن عاشور، 1984: 9/ 233).

18. وقال تعالى: ﴿**إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ**﴾ [آل عمران: 160]. في الآية جملتا شرط كانت الأفعال المضارعة هي أفعال الشرط فيها والجواب إلا جواب الشرط في الجملة الأولى فقد عدل البيان القرآني فيها عن الفعل المضارع (فلن يغلبكم أحد) إلى (فلا غالب لكم)؛ ليدل على ثبوت الغلبة لله وحده إذا أراد نصركم "أي أنه إذا أراد الله تعالى أن ينصركم، واستحققتم نصره؛ فإنه لا يوجد قوم من شأنهم أن يغلبوكم، والتعبير باسم

الفاعل في قوله تعالى: (فَلا غَالِبَ لَكُمْ) يفيد أنه لا يوجد مَن عنده القوة ومَنْ شأنه أن يغلبكم؛ لأنه إن كان قويًا في نفسه فالله معكم، وهو القاهر فوق عباده، وهو الحفيظ عليهم" (أبو زهرة، د.ت: 3/ 1480).

19. وقال الله تعالى مبينًا إعراض المشركين عن دلائل الله تعالى ومعجزاته، وعدم الاهتداء بها: ﴿**وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين**﴾ [الأنعام: 4؛ يس: 46].

وكان يمكن أن تكون العبارة: إلا أعرضوا عنها؛ ولكن البيان القرآني قد اختار "الإتيان في خبر (كان) بصيغة اسم الفاعل؛ للدلالة على أن هذا الإعراض متحقق من دلالة فعل الكون، ومتجدد من دلالة صيغة اسم الفاعل؛ لأن المشتقات في قوة الفعل المضارع، والاستثناء دل على أنهم لم يكن لهم حال إلا الإعراض" (ابن عاشور، 1984: 7/ 134).

ويلاحظ هنا أن ابن عاشور قد رجح دلالة التجدد في اسم الفاعل؛ بناء على السياق؛ ومعتمدًا على شبهه بالفعل المضارع.

20. وفي مشهد من مشاهد الدار الآخرة؛ يحكي القرآن جدالًا يقع بين أهل الجنة وأهل النار في قوله تعالى: ﴿**ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين * الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا وهم بالآخرة كافرون**﴾ [الأعراف: 44-45].

وهذا الجدال في الآخرة، والأعمال - كالظلم والكفر - كانت في الدنيا، ولذلك كان المتوقع في السياق استعمال الأفعال الماضية؛ كأن يقال: لعنة الله على الذين ظلموا وصدوا عن سبيل الله وكفروا، ولكن البيان القرآني قد عدل عن الفعلين (ظلموا) و(كفروا) إلى اسمي الفاعل، وفي ذلك يقول ابن عاشور: "والتعبير عنهم بالظالمين تعريف لهم بوصف جرى مجرى اللقب تعرف به جماعتهم، فلا ينافي أنهم حين وصفوا به لم يكونوا ظالمين، لأنهم قد علموا بطلان الشرك حق العلم، وشأن اسم الفاعل أن يكون حقيقة في الحال مجازًا في الاستقبال، ولا يكون للماضي. وكذلك وصفهم باسم الفاعل في قوله: (وهم بالآخرة كافرون) فإن حقه الدلالة على زمن الحال، وقد استعمل هنا في الماضي، أي: كافرون بالآخرة فيما مضى من حياتهم الدنيا، وكل ذلك اعتماد على قرينة حال السامعين المانعة من إرادة المعنى الحقيقي من صيغة المضارع وصيغة اسم الفاعل، إذ قد علم كل سامع أن المقصودين صاروا غير متلبسين بتلك الأحداث في وقت التأذين، بل تلبسوا بنقائضها، فإنهم حينئذ قد علموا الحق وشاهدوه كما دل عليه قولهم: نعم" (ابن عاشور، 1984: 8/ 138).

21. وقال الله تعالى مبينًا إصرار أهل الكتاب والمشركين على الكفر: ﴿**لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة**﴾ [البينة: 1]، ويلاحظ أن البيان القرآني قد استعمل في هذه الآية الفعل مع أهل الكتاب، ثم عدل عنه إلى اسم الفاعل مع المشركين؛ ولذلك قال الخطيب: "فإن قيل: لِمَ قال تعالى: (كفروا) بلفظ الماضي، وذكر المشركين باسم الفاعل؟ أجيب: بأنّ أهل الكتاب ما كانوا كافرين من أوّل الأمر؛ لأنهم كانوا مصدّقين بالتوراة والإنجيل وبمبعث محمد ﷺ، بخلاف المشركين؛ فإنهم ولدوا على عبادة الأوثان، وذلك يدل على الثبات على الكفر" (الخطيب الشربيني، 1285: 4/ 570؛ الدمشقي، 1998/ 20/ 436).

22. ويضرب الله تعالى مثلًا للمؤمن والكافر، فالمؤمن كالميت الذي حلَّت به الحياة، ومنح نورًا يضيء له حياته، والكافر كالغارق في الظلمات لا يستطيع الخروج منها، فقال تعالى: ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا**﴾ [الأنعام: 122]، ومع توالي الأفعال: (كان، فأحيينا، وجعلنا، يمشي) في هذه الآية؛ كان يمكن أن تكون العبارة: كمن مثله في الظلمات لا يخرج منها؛ ولكن البيان القرآني عدل عن الفعل (يخرج) إلى اسم الفاعل (خارج)؛ ليدل بما في اسم الفاعل من الثبوت على "أنه ألِفَ الظلمات، وصار لا يمكن أن يخرج منها، فعبر باسم الفاعل، أي:

صار مثل المقيم في الظلمات، وأكّد سبحانه وتعالى نفي الخروج بالباء وبالوصف، فهو مرتكس في الظلمات ليس بخارج منها" (أبو زهرة، د.ت: 5/ 2654).

23. وفي قصة بني إسرائيل الذين قتلوا شخصًا ثم اختلفوا وتنازعوا في القاتل، وكتموا الحقيقة، بيَّن الله تعالى أنه سيكشف ما كانوا يخفونه في ذلك بقوله سبحانه: ﴿**وإذ قتلتم نفسًا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون**﴾ [البقرة: 72]، ولكن البيان القرآني قد عدل عن الفعل الدال على المستقبل (سيخرج) إلى اسم الفاعل (مخرج)، وفي هذا يقول أبو حيان: "أَتَى بِاسْمِ الْفَاعِلِ لأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الثُّبُوتِ، وَلَمْ يَأْتِ بِالْفِعْلِ الَّذِي هُوَ دَالٌّ عَلَى التَّجَدُّدِ وَالتَّكْرَارِ، وَلا تَكْرَارَ، إِذْ لا تَجَدُّدَ فِيهِ؛ لأَنَّهَا قِصَّةٌ وَاحِدَةٌ مَعْرُوفَةٌ، فَلِذَلِكَ - وَاللهُ أَعْلَمُ - لَمْ يَأْتِ بِالْفِعْلِ" (أبو حيان، 2000: 1/ 419). وفي اسم الفاعل هنا دلالة على يقين الوقوع أيضًا؛ فهو واقع لا محالة.

24. وفي قصة نبي الله صالح عليه السلام، عندما عصاه قومه ثمود، وطلبوا منه تعنتًا إخراج ناقة من صخرة؛ أوحى الله تعالى إلى نبيه أنه سيخرج لهم الناقة؛ اختبارًا لهم، وأوصى صالحًا عليه السلام بأن يصبر على أذاهم، وينظر ما سيفعلونه بالناقة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر**﴾[القمر: 27]، وقد عدل البيان القرآني عن الفعل الدال على المستقبل (سنرسل) إلى اسم الفاعل الدال في الحقيقة على الحال (مرسلو)؛ لتقريب زمن الاستقبال من زمن الحال؛ ليطمئن نبي الله صالح عليه السلام أن خروجها قريب جدًا وكأنها قد خرجت (ابن عاشور، 1984: 27/ 200).

25. وعندما حق العذاب على قوم لوط عليه السلام؛ أمره الله تعالى بالخروج مع أهله من المدينة قبل نزول العذاب، واستثنى امرأته لأنها سيصيبها العذاب، فقال سبحانه: ﴿**فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم**﴾ [هود: 81]، ويلاحظ هنا أن البيان القرآني قد عبر عن عذاب القوم بالفعل، وعدل عن الفعل إلى اسم الفاعل في عذاب المرأة، وفي هذا يقول البقاعي: "ثم ظهر لي من التعبير في حقها باسم الفاعل، وفي حقهم بالماضي: أنه حكم بإصابة العذاب لهم عند هذا القول للوط عليه السلام؛ لأن ذنوبهم تمت، وأما هي فإنما يبرم الحكم بذلك في حقها عند تمام ذنوبها التي رتبت عليها الإصابة وذلك عند الالتفات" (البقاعي، 1984: 9/ 345).

26. وقال الله تعالى: ﴿**وما كان الله ليعذبهم و أنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**﴾ [الأنفال: 33] مبينًا أن وجود النبي ﷺ في قومه كان أمانا لهم من العذاب، كما أن وجود الاستغفار من الناس يُؤَمِّنهم من العذاب أيضًا، ويلاحظ في هذا البيان القرآني البليغ استعمال الفعل الدال على الحدوث في بيان الأمان بوجود النبي ﷺ، لأنه أمر حادث مؤقت، ثم العدول عن الفعل إلى اسم الفاعل الدال على الدوام والثبوت، مع الأمان بالاستغفار؛ لأنه دائم ما دامت الحياة.

27. وقريب من هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿**وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون**﴾ [القصص: 59] حيث عدل عن الفعلين (لنهلك) و(يظلمون) إلى اسمي الفاعل (مهلكي) و(ظالمون)؛ ليبين أن الظلم الذي يستحق به أهله الهلاك هو الظلم الدائم الثابت، الذي صار وصفًا مستقرًا فيهم، أما الظلم الذي يحدث ويزول؛ فلا يخلو منه الإنسان عادة، فهو قد يظلم ثم يتوب، فإذا ثبت الظلم واستمر في قوم ثبت لهم الهلاك، ولذلك كان التعبير باسم الفاعل في هذا الهلاك؛ لأنه ثابت وقريب الوقوع من هؤلاء الظالمين.

28. وفي مشهد من مشاهد يوم القيامة، يصوّر البيان القرآني حالة المؤمن الموقن بلقاء ربه وحسابه، عندما يؤتى كتابه بيمينه فيقول فرحًا مستبشرًا: ﴿**هاؤم اقرؤوا كتابيه، إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه**﴾ [الحاقة: 20]، أي: إني كنت عالمًا يقينًا بأني سألقى حسابي يوم القيامة، ولكن البيان القرآني قد عدل عن الفعل إلى اسم الفاعل (ملاق) الدال على اليقين التام بثبوت اللقاء، أي: ثابت لي ثباتًا لا ينفك أني ألقى بين يدي الديان حسابي (البقاعي، 1984: 20/ 362).

والظن في الآية هنا بمعنى العلم، قال الضحاك: كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين ومن الكافر فهو شك (ابن عاشور، 1984: 29/ 131).

29. وقال الله تعالى في قصة نبيه يوسف عليه السلام عندما عبَّر الرؤيا لصاحبيه في السجن بنجاة أحدهما وهلاك الآخر: ﴿**وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك**﴾ [يوسف: 42]، "وقد عبَّر عن النَّجاة باسم الفاعل (نَاجٍ) وعَدَلَ عن الفعل (ينجو) مبالغةً في الدَّلالة على تحقُّق النَّجاة، فالتَّعبير بالاسم يفيد الثُّبوت والاستمرار"(الشوابكة، 2010، ص 99).

30. وقال تعالى معددًا صفات المخبتين: ﴿**وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾ [الحج: 35] فعبر البيان القرآني عن بعض الصفات بالفعل الدال على الحدوث والتجدد: (وجلت قلوبهم) (ينفقون)، وعدل عن الفعل إلى اسم الفاعل الدال على الثبوت والدوام في صفتي الصبر والصلاة، فقال: (والصابرين على ما أصابهم) (والمقيمي الصلاة)؛ ليبين أهمية هاتين الصفتين، ويؤكد على وجوب اصطباغ حياة المسلم بهما؛ لتكونا شأنًا من شؤونه التي لا يتخلف عنها، وقد أكد الله تعالى على هاتين الصفتين في آيات أخرى، كقوله سبحانه: ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين**﴾[البقرة: 45] (أبو زهرة، د.ت: 9/ 4985).

31. وعندما تحدى المشركون النبي ﷺ بأن يأتيهم بالعذاب؛ جاءهم الوعيد والتخويف الشديد: ﴿**يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين**﴾ [التوبة: 49؛ العنكبوت: 54]، وقد عدل البيان القرآني عن الفعل الدال على المستقبل (ستحيط) إلى اسم الفاعل الدال على الحال؛ حتى يكسب المشهد مزيدًا من الرعب بهذا الوعيد.

قال محمد رشيد: "وَإِنَّمَا عَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِاسْمِ الْفَاعِلِ الدَّالِّ عَلَى الحَالِ؛ لِإِفَادَةِ تَحَقُّقِ ذَلِكَ حَتَّى كَأَنَّهُ وَاقِعٌ مُشَاهَدٌ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهَا مُحِيطَةٌ بِهِمُ الآنَ؛ لِأَنَّ أَسْبَابَ الإِحَاطَةِ مَعَهُمْ، فَكَأَنَّهُمْ فِي وَسَطِهَا" (رضا، 1990: 10/ 413). وقال الألوسي: "(وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ) وعيد لهم على ما فعلوا، أي: جامعة لهم من كل جانب لا محالة، وذلك يوم القيامة، ... وقد يجعل الكلام تمثيلًا، بأن تشبه حالهم في إحاطة الأسباب بحالهم عند إحاطة النار، وكون الأعمال التي هم فيها هي النار بعينها، لكنها ظهرت بصورة الأعمال في هذه النشأة، وتظهر بالصورة النارية في النشأة الأخرى" (الألوسي، 1994: 5/ 304).

32. وقال تعالى: ﴿**وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله**﴾ [يونس: 107] توضح الآية أن الخير والشر بيد الله تعالى وحده، فإذا قدَّر أحدَهما فلا يستطيع أحد رد قدره سبحانه. وقد عدل البيان القرآني عن الفعلين (يكشف) و(يرد) إلى اسمي الفاعل (كاشف) و(راد)؛ ليفيد أنه "لا يوجد من يستطيع رده، فليس الكلام لمجرد الرد، بل هو نفي لوجود من يستطيع الرد ويقدر عليه" (أبو زهرة، د.ت: 7/ 3645).

33. وفي سياق تهديد الكفار الذين يتعجبون من القرآن، ويضحكون استهزاء به، ولا يبكون خشية منه، وهم غافلون معرضون عن هدايته؛ يقول الله تعالى: ﴿**أفمن هذا الحديث تعجبون * وتضحكون ولا تبكون * و أنتم سامدون**﴾ [النجم: 59-61] وقد عبر البيان القرآني عن العجب والضحك والبكاء بالفعل المضارع الدال على الحدوث والتكرار؛ لأنها أفعال تحدث وتزول، ولكنه عدل عن الفعل إلى اسم الفاعل في التعبير عن الغفلة لأنها حالة دائمة عند هؤلاء الكفار؛ فقال: (سامدون) (الفخر الرازي، 1420: 29/ 287؛ الدمشقي، 1998: 18/ 227).

34. وقال الله تعالى في ختام أوصاف الصابرين: ﴿**وأولئك هم المهتدون**﴾ [البقرة: 157]، فعدل عن الفعل (اهتدوا) أو (يهتدون) "وأتى باسم الفاعل، ليدل على الثبوت؛ لأن الهداية ليست من الأفعال المتجددة وقتًا بعد وقت فيخبر عنها بالفعل، بل هي وصف ثابتٌ" (الهرري، 2001: 3/ 57).

35. وقال الله تعالى محذرًا من أهوال يوم القيامة؛ حيث لا يستطيع الولد أن ينفع أباه، ولا يستطيع الوالد نفع أبنائه: ﴿**وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ والِدِهِ شَيْئًا**﴾ [لقمان: 33]، ولكن البيان القرآني قد عبر عن مجازاة الوالد لولده بالفعل، وعدل عن الفعل إلى اسم الفاعل في مجازاة الولد لوالده، فقال أبو حيان: "وَلَمَّا كَانَ الْوَالِدُ أَكْثَرَ شَفَقَةً عَلَى الْوَلَدِ مِنَ الْوَلَدِ عَلَى أَبِيهِ، بَدَأَ بِهِ أَوَّلًا، وَأَتَى فِي الإِسْنَادِ إِلَى الْوَالِدِ بِالْفِعْلِ الْمُقْتَضِي لِلتَّجَدُّدِ، لأَنَّ شَفَقَتَهُ مُتَجَدِّدَةٌ عَلَى الْوَلَدِ فِي كُلِّ حَالٍ، وَأَتَى فِي الإِسْنَادِ إِلَى الْوَلَدِ بِاسْمِ الْفَاعِلِ، لأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الثُّبُوتِ، وَالثُّبُوتُ يَصْدُقُ بِالمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ"(أبو حيان، 2000: 8/ 424).

36. وقال الله تعالى مبينًا أنه يختبر الناس بالشدائد؛ ليتميز الصادقون من الكاذبين: ﴿**ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾ [العنكبوت: 3]، ونلاحظ أن البيان القرآني قد عبر عن الصادقين بالفعل، ثم عدل عن الفعل إلى اسم الفاعل في الكاذبين، قال الفخر الرازي: "وَفِي قَوْلِهِ: (الَّذِينَ صَدَقُوا) بِصِيغَةِ الْفِعْلِ، وَقَوْلِهِ (الْكاذِبِينَ) بِاسْمِ الْفَاعِلِ فَائِدَةٌ - مَعَ أَنَّ الاخْتِلافَ فِي اللَّفْظِ أَدَلُّ عَلَى الْفَصَاحَةِ -، وَهِيَ أَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ يَدُلُّ فِي كَثِيرٍ مِنَ المَوَاضِعِ عَلَى ثُبُوتِ المَصْدَرِ فِي الْفَاعِلِ وَرُسُوخِهِ فِيهِ، وَالْفِعْلُ المَاضِي لا يَدُلُّ عَلَيْهِ، كَمَا يُقَالُ: فُلانٌ شَرِبَ الخَمْرَ، وَفُلانٌ شَارِبُ الخَمْرِ، وَفُلانٌ نَفَذَ أَمْرُهُ، وَفُلانٌ نَافِذُ الأَمْرِ؛ فَإِنَّهُ لا يُفْهَمُ مِنْ صِيغَةِ الْفِعْلِ التَّكْرَارُ وَالرُّسُوخُ، وَمِنَ اسْمِ الْفَاعِلِ يُفْهَمُ ذَلِكَ؛ إِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ: وَقْتَ نُزُولِ الآيَةِ كَانَتِ الحِكَايَةُ عَنْ قَوْمٍ قَرِيبِي الْعَهْدِ بِالإِسْلامِ فِي أَوَائِلِ إِيجَابِ التَّكَالِيفِ، وَعَنْ قَوْمٍ مُسْتَدِيمِينَ لِلْكُفْرِ مُسْتَمِرِّينَ عَلَيْهِ، فَقَالَ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ: (الَّذِينَ صَدَقُوا) بِصِيغَةِ الْفِعْلِ، أَيْ: وُجِدَ مِنْهُمُ الصِّدْقُ، وَقَالَ فِي حَقِّ الْكَافِرِ: (الْكاذِبِينَ) بِالصِّيغَةِ الْمُنْبِئَةِ عَنِ الثَّبَاتِ وَالدَّوَامِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿**يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ**﴾ [المائدة: 119] بِلَفْظِ اسْمِ الْفَاعِلِ، وَذَلِكَ لأَنَّ فِي الْيَوْمِ المَذْكُورِ: الصِّدْقُ قَدْ يَرْسَخُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الآخر، ولا كذلك في أوائل الإسلام" (الفخر الرازي، 1420: 25/ 27).

37. وقريب من هذه الآية في التعبير عن الصدق بالفعل، والعدول عنه إلى الاسم مع الكذب قول الله تعالى: ﴿**عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين**﴾ [التوبة: 43]؛ فقد قال الألوسي: "والتعبير عن الفريق الأول بالموصول الذي صلته فعل دال على الحدوث، وعن الفريق الثاني باسم الفاعل المفيد للدوام؛ للإيذان بأن ما ظهر من الأولين صدق حادث في أمر خاص غير مصحح لنظمهم في سلك الصادقين، وأن ما صدر من الآخرين وإن كان كذبًا حادثًا متعلقا بأمر خاص؛ لكنه جار على عادتهم المستمرة، ناشئ عن رسوخهم في الكذب" (الألوسي، 1994: 5/ 298).

38. وفي سياق رفض النبي ﷺ اتباع أهواء المشركين؛ لأنّ اتباعهم ضلال، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين**﴾ [الأنعام: 56]، وقد جمع البيان القرآني في هذه الآية بين الفعل الدال على التجدد، وبين اسم الفاعل الدال على الثبوت والدوام؛ ليفيد تأكيد البعد عن أهواء المشركين.

قال الحلبي: "وقوله: (وَمَا أَنَا مِنَ المهتدين) تأكيد لقوله: (قَدْ ضَلَلْتُ)، وأتى بالأولى جملةً فعلية؛ ليدلَّ على تجدد الفعل وحُدوثِه، وبالثانية اسميةً ليدلَّ على الثبوت" (السمين الحلبي، د.ت: 4/ 657).

39. وفي مشهد من مشاهد أهوال النار؛ يصور القرآن حال الكفار وهم يتحسرون بسبب سوء أعمالهم التي أدت إلى خلودهم في النار، وذلك في قول الله تعالى: ﴿**كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم، وما هم بخارجين من النار**﴾ [البقرة: 167]، ويؤكد البيان القرآني ثبوت خلودهم في النار بالعدول عن الفعل (وما يخرجون) إلى اسم الفاعل (وما هم بخارجين).

قال أبو السعود: "والأصلُ (وما يخرجون)، والعدولُ إلى الاسمية، لبيان كمالِ سوءِ حالهم باستمرار عدم خروجهم منها" (أبو السعود، د.ت: 1/ 187).

40. وفي سياق فضح المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر يقول الله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ [البقرة: 8]، وقد عدل البيان القرآني عن الفعل (يؤمنون) إلى اسم الفاعل (مؤمنين)؛ ليؤكد ثبوت عدم إيمانهم؛ فضحًا لنفاقهم.

قال أبو حيان: "وَلأَجْلِ التَّأْكِيدِ فِي مُبَالَغَةِ نَفْيِ إِيمَانِهِمْ، جَاءَتِ الجمْلَةُ المَنْفِيَّةُ اسْمِيَّةً مُصَدَّرَةً بـ(هم)، وَتَسَلّط النَّفْي عَلَى اسْمِ الْفَاعِلِ الَّذِي لَيْسَ مُقَيَّدًا بِزَمَانٍ؛ لِيَشْمَلَ النَّفْيُ جَمِيعَ الأَزْمَانِ؛ إِذْ لَوْ جَاءَ اللَّفْظُ مُنْسَحِبًا عَلَى اللَّفْظِ المَحْكِيِّ الَّذِي هُوَ: آمَنَّا، لَكَانَ: وَمَا آمَنُوا، فَكَانَ يَكُونُ نَفْيًا لِلإِيمَانِ المَاضِي، وَالمَقْصُودُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مُتَلَبِّسِينَ بِشَيْءٍ مِنَ الإِيمَانِ فِي وَقْتٍ مَا مِنَ الأَوْقَاتِ" (أبو حيان، 2000: 1/ 90).

41. وقال الله تعالى: ﴿**إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي**﴾ [الأنعام: 95]، وهنا يختار البيان القرآني التعبير بالفعل في إخراج الحي من الميت، ويعدل عن الفعل إلى اسم الفاعل في إخراج الميت من الحي.

قال ابن عاشور: "وقد جيء بجملة: (يخرج الحي من الميت) فعلية للدلالة على أن هذا الفعل يتجدد ويتكرر في كل آن، فهو مراد معلوم، وليس على سبيل المصادفة والاتفاق. وجيء في قوله: (ومخرج الميت من الحي) اسما للدلالة على الدوام والثبات" (ابن عاشور، 1984: 7/ 389).

وفي الوقت نفسه يتناسب البيان بالمضارع في (يخرج الحي) مع طبيعة حركة وتجدّد وتنوّع الحدث في الأحياء، والبيان باسم الفاعل في (مخرج الميت) يتناسب أيضًا مع طبيعة المُخْرَج: (الميت) فهو ثابتٌ لا يتحرك، ومنقضٍ لا يتجدد، ولذلك عدل بالفعل فيه إلى اسم الفاعل (توفيق، 2011، ص348).

42. وفي ختام آية الأمر بالإيمان بالله تعالى وبجميع الكتب السماوية بدون تفريق، وبكمال الانقياد لله وحده: جاءت الجملتان ﴿**لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**﴾ [البقرة: 136]، فاستخدم البيان القرآني الفعل في الجملة الأولى، ثم غيّر النسق في الجملة الثانية؛ حيث عدل عن الفعل إلى اسم الفاعل.

قال أبو حيان: "ذَكَرَ هَذِهِ الجُمْلَةَ الاسْمِيَّةَ المُخْبَرَ عَنِ المُبْتَدَأِ فِيهَا بِاسْمِ الْفَاعِلِ الدَّالِّ عَلَى الثُّبُوتِ، لأَنَّ الانْقِيَادَ لا يَنْفَكُّونَ عَنْهُ دَائِمًا، وَعَنْهُ تَكُونُ الْعِبَادَةُ" (أبو حيان، 2000: 1/ 642).

المبحث الثاني: العدول عن اسم

وردت بعض الآيات التي يقتضي ظاهر السياق فيها استخدام المصدر أو أحد المشتقات في أداء المعنى المراد؛ وإذا بالبيان القرآني يعدل عنه إلى اسم الفاعل، فكشف المفسرون سر هذا العدول، وأوضحوا بلاغة البيان القرآني. وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

1. قال الله تبارك وتعالى في سياق التسلية لنبيه ﷺ، وتثبيت قلبه أمام إعراض الكافرين؛ حتى لا يضيق صدره من تعنتهم واقتراحاتهم: ﴿**فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك**﴾ [هود: 12]، ويلاحظ هنا أن البيان القرآني قد عدل عن التعبير بالصفة المشبهة (ضَيِّق) المعتاد استعمالها في مثل هذا السياق؛ إلى اسم الفاعل (ضائق).

قال الزمخشري: "فإن قلتَ: لم عدل عن ضيّق إلى ضائق؟ قلت: ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت؛ لأنّ رسول الله ﷺ كان أفسح الناس صدرًا" (الزمخشري، 1987: 2/ 382).

وقال ابن عاشور: "وإنما عدل عن أن يقال (ضيق) هنا إلى ضائق؛ لمراعاة النظير مع قوله: (تارك)؛ لأن ذلك أحسن فصاحة، ولأن (ضائق) لا دلالة فيه على تمكن وصف الضيق من صدره بخلاف (ضيّق)؛ إذ هو صفة مشبهة، وهي دالة على

تمكن الوصف من الموصوف، إيماءً إلى أن أقصى ما يتوهم توقعه في جانبه ﷺ هو ضيق قليل يعرض له" (ابن عاشور، 1984: 12/ 16).

وقال الشنقيطي: "مَا وَجْهُ التَّعْبِيرِ فِي سُورَةِ هُودٍ بِقَوْلِهِ: (ضَائِقٌ)، وَفِي الْفُرْقَانِ وَالْأَنْعَامِ بِقَوْلِهِ: (ضَيِّقًا)؟ وَالْجَوَابُ عَنْ هَذَا هُوَ أَنَّهُ تَقَرَّرَ فِي فَنِّ الصَّرْفِ أَنَّ جَمِيعَ أَوْزَانِ الصِّفَةِ الْمُشَبَّهَةِ بِاسْمِ الْفَاعِلِ إِنْ قُصِدَ بِهَا الْحُدُوثُ وَالتَّجَدُّدُ جَاءَتْ عَلَى وَزْنِ (فَاعِلٍ) مُطْلَقًا، وَإِنْ لم يُقْصَدْ بِهِ الْحُدُوثُ وَالتَّجَدُّدُ بَقِيَ عَلَى أَصْلِهِ. وَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالى فِي سُورَةِ هُودٍ: (وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ) أُرِيدَ بِهِ أَنَّهُ يَحْدُثُ لَهُ ضِيقُ الصَّدْرِ، وَيَتَجَدَّدُ لَهُ بِسَبَبِ عِنَادِهِمْ وَتَعَنُّتِهِمْ، وَلَمَّا كَانَ كَذَلِكَ، قِيلَ فِيهِ: (ضَائِقٌ) بِصِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ" (الشنقيطي، 1995: 6/ 28).

ويلاحظ هنا أن الزمخشري وابن عاشور قد جعلا (ضائق) اسم فاعل، أما الشنقيطي فقد جعله صفة مشبهة تدل على الحدوث والتجدد، ولذلك جاء بصيغة اسم الفاعل.

2. وفي سياق تحريم القتل وتفصيل أحكامه قال تعالى: ﴿**ومن قتل مؤمنًا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة** ...﴾ ثم قال سبحانه: ﴿**ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم**...﴾ [النساء: 92 – 93].

ويلاحظ أن البيان القرآني قد عبر في قتل الخطأ بالمصدر (خطًا)، ثم عدل عن المصدر إلى اسم الفاعل (متعمدًا) في القتل العمد؛ وذلك لأن القتل الخطأ ليس فيه قصد للفاعل، فناسب فيه استعمال المصدر الذي يقرر الحدث بدون النظر إلى فاعله، أما القتل العمد فإنه لا يكون إلا عن قصد من الفاعل، فناسب فيه استعمال اسم الفاعل الذي يقرر الحدث مع فاعله.

3. وفي قصة نبي الله أيوب عليه السلام في القرآن؛ تبرز صفتان عظيمتان كان مضرب المثل فيهما، وهما الصبر على البلاء، والتضرع إلى الله تعالى، ولذلك فالمتوقع في التعبير عنهما استخدام صيغ المبالغة، ولكن البيان القرآني في قوله تعالى: ﴿**إنا وجدناه صابرًا نعم العبد إنه أواب**﴾[ص: 44] قد عدل عن المبالغة إلى اسم الفاعل في الصفة الأولى منهما، فما السبب؟ يجيب عن ذلك البقاعي بقوله: "إشارة إلى أن السر في التذكير به: التأسي به في الصبر؛ ولما كان السياق للحث على مطلق الصبر في قوله تعالى: ﴿**واصبر على ما يقولون**﴾[المزمل: 10] أتى باسم الفاعل مجردًا عن مبالغة فقال: (صابرًا")(البقاعي، 1984: 16/ 394).

4. وقال الله تعالى: ﴿**وعجبوا أن جاءهم منذر منهم**﴾ [ص: 4].

تحكي الآية تعجب الكفار واستنكارهم كون النذير الذي أرسل إليهم بشرًا من جنسهم، ولكن البيان القرآني قد عدل عن صيغة المبالغة (نذير) المعتادة في مثل هذا السياق إلى اسم الفاعل (منذر)، ولذلك قال البقاعي: "ولما كان تعجبهم من مطلق نذارته، لا مبالغته فيها، أتى باسم الفاعل دون (فعيل) فقال: (منذر منهم" (البقاعي، 1984: 16/ 327).

5. وقال الله تعالى: ﴿**وكان الله شاكرًا عليمًا**﴾ [النساء: 147]، والملاحظ أن البيان القرآني قد عدل عن صيغة المبالغة من الشكر إلى اسم الفاعل (شاكر)، ولذلك قال أبو حيان: "(شَاكِرًا) أَيْ: مُثِيبًا مُوفِيًا أُجُورَكُمْ. وَأَتَى بِصِفَةِ الشُّكْرِ بِاسْمِ الْفَاعِلِ بِلا مُبَالَغَةٍ؛ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّهُ يَتَقَبَّلُ وَلَوْ أَقَلَّ شَيْءٍ مِنَ الْعَمَلِ، وَيُنَمِّيهِ عَلِيمًا بِشُكْرِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ فَيُجَازِيكُمْ. وَفِي قَوْلِهِ: (عَلِيمًا) تَحْذِيرٌ وَنَدْبٌ إِلى الإِخْلاصِ للهِ تَعَالى. وَقِيلَ: الشُّكْرُ مِنَ اللهِ إِدَامَةُ النِّعَمِ عَلَى الشَّاكِرِ" (أبو حيان، 2000: 4/ 115).

6. وقال الله تعالى ممتنًا على الإنسان، ومبينًا فضله عليه بأن عرّفه بطريق الحق والهدى، وطريق الضلال والشقاء، وجعل له الاختيار بين السعادة بسلوك طريق الهدى، وبين الشقاء بسلوك طريق الضلال: ﴿**إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا**﴾ [الإنسان: 3]، ويلاحظ أن البيان القرآني هنا قد عبّر عن الكفر بصيغة المبالغة، وعدل عنها في الشكر إلى اسم

الفاعل؛ فقال البقاعي مبينًا بلاغة هذا التعبير: "عبّر باسم الفاعل الخالي من المبالغة؛ لأنه لا يقدر أحد أن يشكر جميع النعم، فلا يسمى شكورًا إلا بتفضل من ربه عليه.

ولما كان الإنسان، لما له من النقصان، لا ينفك غالبًا عن كفر ما، أتى بصيغة المبالغة تنبيهًا له على ذلك، معرفًا له أنه لا يأخذه إلاّ بالتوغل فيه؛ ليعرف نعمة الحلم عنه، فيحمله الخجل على الإقبال على من يرضى منه بقليل الشكر" (البقاعي، 1984: 21/ 133).

النتائج:

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- كشف البحث عن الخلاف بين النحاة والبلاغيين في دلالة اسم الفاعل؛ حيث يرى النحاة أنه يدل على الحدوث، أما البلاغيون فهو يدل عندهم على الثبوت.
- قد يدل اسم الفاعل على الحدوث عند البلاغيين إذا وجدت قرينة تدل على ذلك.
- اعتمد المفسرون - حتى النحاة منهم - رأي البلاغيين أثناء التطبيق على آيات القرآن.
- العدول بين المشتقات نوعان: عدول من صيغة إلى صيغة أخرى مع بقاء دلالة الصيغة الأولى، وعدول من صيغة إلى صيغة أخرى مع اعتماد دلالة الصيغة الثانية، وقد اهتم هذا البحث بدراسة النوع الثاني فقط.
- شواهد العدول إلى اسم الفاعل من صيغ أخرى كثيرة جدًا في القرآن الكريم، وقد اعتنى المفسرون بإيضاحها والكشف عن أسرارها.
- كان العدول إلى اسم الفاعل إما من فعل، أو من اسم كالمصدر والمشتقات، وقد كانت شواهد العدول من فِعل أكثر بكثير من العدول من اسم فيما أمكنني الوقوف عليه منهما.
- كان السر في العدول إلى اسم الفاعل يختلف من آية إلى أخرى؛ إلا أن أكثرها كان يعود إلى دلالة الثبوت والدوام في اسم الفاعل، وأحيانًا كان يعود إلى دلالته على الوقوع لا محالة، وقد يراد به قرب الوقوع، وغير ذلك من الأسرار التي كشفها البحث.

ويوصي البحث بكثرة الدراسات التطبيقية الواسعة في القرآن الكريم والكلام البليغ؛ لأنها تكشف أسرارًا كثيرة لا يمكن أن يوقف عليها من أمثلة قليلة تساق لإيضاح القاعدة فقط.

ولعل هذا البحث يكون لبنة من لبنات تتجمع لبناء صرح شامخ من الدراسات التطبيقية التي تجعل الدارس يعيش القواعد واقعًا ملموسًا ينمي ذائقته وقدراته اللغوية.

المراجع

أبو السعود، م. (د.ت). *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، دار إحياء التراث العربي.

الشنقيطي، م. (1995). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، دار الفكر.

الإسفراييني، ع. (د.ت). *الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم* (عبد الحميد هنداوي، تحقيق). دار الكتب العلمية.

توفيق، م. (2011). *الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن*، مكتبة وهبة.

أبو حيان، م. (2000). *البحر المحيط*، دار الفكر.

الحسني، أ. (1419). *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد* (أحمد القرشي؛ حسن عباس زكي، تحقيق). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن عاشور، م. (1984). *التحرير والتنوير*، الدار التونسية.
لجياني، م. (1967). *تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد* (محمد كامل بركات، تحقيق). دار الكاتب العربي.
رضا، م. ر. (1990). *تفسير المنار*، الهيئة المصرية للكتاب.
المرادي، م. (2008). *توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك* (عبد الرحمن علي، تحقيق؛ ط.1). دار الفكر العربي.
القرطبي، م. (1964). *الجامع لأحكام القرآن* (أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، تحقيق؛ ط.2). دار الكتب المصرية.
التفتازاني، س. (د.ت). *حاشية الدسوقي على مختصر المعاني* (عبدالحميد هنداوي، تحقيق). المكتبة العصرية.
الهرري، م. (2001). *حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن* (ط.1). دار طوق النجاة.
السمين الحلبي، أ. (د.ت). *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون* (أحمد الخراط، تحقيق). دار القلم.
الجرجاني، ع. (1992). *دلائل الإعجاز في علم المعاني* (محمود شاكر، تحقيق؛ ط.3). مطبعة المدني.
الألوسي، م. (1994). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني* (ط.1)، دار الكتب العلمية.
أبو زهرة، م. (د.ت). *زهرة التفاسير*، دار الفكر العربي.
الخطيب الشربيني، م. (1285). *السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير*، مطبعة بولاق.
الصابوني، م. (1997). *صفوة التفاسير* (ط.1). دار الصابوني.
الحلبي، م. ع. (1993). *علوم القرآن الكريم* (ط.1). مطبعة الصباح.
الخفاجي، أ. (د.ت). *عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي*، دار صادر.
الكرماني، م. (د.ت). *غرائب التفسير وعجائب التأويل*، مؤسسة علوم القرآن.
الشوابكة، أ. (2010). *غرر البيان من سورة يوسف في القرآن* (ط.1). دار الفاروق.
القِنَّوجي، م. (1992). *فتح البيان في مقاصد القرآن*، المكتبة العصريَّة.
الطيبي، ش. (2013). *فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (وهو حاشية الطيبي على الكشاف)* (ط.1). جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.
ابن الحاجب، ع. (2010). *الكافية في علم النحو* (صالح عبد العظيم الشاعر، تحقيق؛ ط.1). مكتبة الآداب.
الزمخشري، م. (1987). *الكشاف* (ط.3). دار الكتاب العربي.
الدمشقي، ع. (1998). *اللباب في علوم الكتاب* (ط.1). دار الكتب العلمية.
ابن منظور، م. (1414). *لسان العرب* (ط.3). دار صادر.
ابن الأثير، ض. (د.ت). *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر* (أحمد الحوفي، بدوي طبانة، تحقيق). دار نهضة مصر.
الفخر الرازي، أ. (1420). *مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)* (ط.3). دار إحياء التراث العربي.
السكاكي، ي. (1987). *مفتاح العلوم* (ط.2). دار الكتب العلمية.
البقاعي، إ. (1984). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور* (ط.1). دائرة المعارف العثمانية.

References

Abū al-Suʿūd, M. (n.d.). *Irshād al-ʿaql al-salīm ilā mazāyā al-kitāb al-karīm* [Guiding the sound intellect to the merits of the Noble Book]. Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

Al-Shinqīṭī, M. (1995). *Aḍwāʾ al-bayān fī īḍāḥ al-Qurʾān bi-al-Qurʾān* [Lights of clarification in explaining the Qurʾān by the Qurʾān]. Dār al-Fikr.

Al-Isfarāyīnī, ʿA. (n.d.). *Al-Aṭwal: Sharḥ Talkhīṣ Miftāḥ al-ʿUlūm* [The extended commentary on "Summary of the Key to the Sciences"] (ʿA. Ḥ. Hindāwī, Ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Tawfīq, M. (2011). *Al-Imām al-Biqāʿī wa-minhajuhu fī taʾwīl balāghat al-Qurʾān* [Imam al-Biqāʿī and his methodology in interpreting the rhetoric of the Qurʾān]. Maktabat Wahbah.

Abū Ḥayyān, M. (2000). *Al-Baḥr al-muḥīṭ* [The encompassing ocean]. Dār al-Fikr.

Al-Ḥasanī, A. (1419 AH). *Al-Baḥr al-madīd fī tafsīr al-Qurʾān al-majīd* [The extended ocean in the exegesis of the Glorious Qurʾān] (A. al-Qurashī & Ḥ. ʿA. Zakkī, Eds.). Al-Hayʾah al-Miṣriyyah al-ʿĀmmah lil-Kitāb.

Ibn ʿĀshūr, M. (1984). *Al-Taḥrīr wa-al-tanwīr* [Liberation and enlightenment]. Al-Dār al-Tūnisiyyah.

Lajyānī, M. (1967). *Tashīl al-fawāʾid wa-takmīl al-maqāṣid* [Facilitating benefits and completing objectives] (M. K. Barakāt, Ed.). Dār al-Kātib al-ʿArabī.

Riḍā, M. R. (1990). *Tafsīr al-Manār* [Al-Manār exegesis]. Al-Hayʾah al-Miṣriyyah lil-Kitāb.

Al-Murādī, M. (2008). *Tawḍīḥ al-maqāṣid wa-al-masālik bi-sharḥ Alfiyyat Ibn Mālik* [Clarifying aims and paths: Commentary on Ibn Mālik's Alfiyyah] (ʿA. R. ʿAlī, Ed.; 1st ed.). Dār al-Fikr al-ʿArabī.

Al-Qurṭubī, M. (1964). *Al-Jāmiʿ li-aḥkām al-Qurʾān* [The compendium of Qurʾānic rulings] (A. al-Bardūnī & I. Aṭfīsh, Eds.; 2nd ed.). Dār al-Kutub al-Miṣriyyah.

Al-Taftāzānī, S. (n.d.). *Ḥāshiyat al-Dasūqī ʿalā Mukhtaṣar al-Maʿānī* [Al-Dasūqī's marginal commentary on "Mukhtaṣar al-Maʿānī"] (ʿA. Ḥ. Hindāwī, Ed.). Al-Maktabah al-ʿAṣriyyah.

Al-Hararī, M. (2001). *Ḥadāʾiq al-rūḥ wa-al-rayḥān fī rawābī ʿulūm al-Qurʾān* [Gardens of the spirit and basil in the fields of Qurʾānic sciences] (1st ed.). Dār Ṭawq al-Najāh.

Al-Samīn al-Ḥalabī, A. (n.d.). *Al-Durr al-maṣūn fī ʿulūm al-kitāb al-maknūn* [The preserved pearl in the sciences of the hidden Book] (A. al-Kharrāṭ, Ed.). Dār al-Qalam.

Al-Jurjānī, ʿA. (1992). *Dalāʾil al-iʿjāz fī ʿilm al-maʿānī* [Proofs of inimitability in the science of rhetoric] (M. Shākir, Ed.; 3rd ed.). Maṭbaʿat al-Madanī.

Al-Ālūsī, M. (1994). *Rūḥ al-maʿānī fī tafsīr al-Qurʾān al-ʿaẓīm wa-al-sabʿ al-mathānī* [The spirit of meanings in the exegesis of the Magnificent Qurʾān and the Seven Oft-Repeated] (1st ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Abū Zahrah, M. (n.d.). *Zahrat al-tafāsīr* [The blossom of exegeses]. Dār al-Fikr al-ʿArabī.

Al-Khaṭīb al-Shirbīnī, M. (1285 AH). *Al-Sirāj al-munīr fī al-iʿānah ʿalā maʿrifat baʿḍ maʿānī kalām rabbinā al-ḥakīm al-khabīr* [The illuminating lamp in assisting the understanding of some meanings of our Wise and All-Aware Lord's words]. Maṭbaʿat Būlāq.

Al-Ṣābūnī, M. (1997). *Ṣafwat al-tafāsīr* [The select exegeses] (1st ed.). Dār al-Ṣābūnī.

Al-Ḥalabī, M. ʿA. (1993). *ʿUlūm al-Qurʾān al-karīm* [Sciences of the Noble Qurʾān] (1st ed.). Maṭbaʿat al-Ṣabāḥ.

Al-Khafājī, A. (n.d.). *ʿInāyat al-qāḍī wa-kifāyat al-rāḍī ʿalā Tafsīr al-Bayḍāwī* [The judge's care and the seeker's sufficiency: A commentary on al-Bayḍāwī's exegesis]. Dār Ṣādir.

Al-Kirmānī, M. (n.d.). *Gharāʾib al-tafsīr wa-ʿajāʾib al-taʾwīl* [Marvels of exegesis and wonders of interpretation]. Muʾassasat ʿUlūm al-Qurʾān.

Al-Shawābkāh, A. (2010). *Ghurar al-bayān min Sūrat Yūsuf fī al-Qurʾān* [Choice rhetorical pearls from Sūrat Yūsuf in the Qurʾān] (1st ed.). Dār al-Fārūq.

Al-Qinnawjī, M. (1992). *Fatḥ al-bayān fī maqāṣid al-Qurʾān* [Opening the clarification concerning the objectives of the Qurʾān]. Al-Maktabah al-ʿAṣriyyah.

Al-Ṭībī, Sh. (2013). *Futūḥ al-ghayb fī al-kashf ʿan qināʿ al-rayb (Ḥāshiyat al-Ṭībī ʿalā al-Kashshāf)* [Unveilings of the unseen: Al-Ṭībī's marginal commentary on al-Kashshāf] (1st ed.). Dubai International Qurʾān Award.

Ibn al-Ḥājib, ʿA. (2010). *Al-Kāfiyah fī ʿilm al-naḥw* [The sufficient treatise in grammar] (Ṣ. ʿA. al-Shāʿir, Ed.; 1st ed.). Maktabat al-Ādāb.

Al-Zamakhsharī, M. (1987). *Al-Kashshāf* [The revealer] (3rd ed.). Dār al-Kitāb al-ʿArabī.

Al-Dimashqī, ʿA. (1998). *Al-Lubāb fī ʿulūm al-kitāb* [The essence of the sciences of the Book] (1st ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Ibn Manẓūr, M. (1414 AH). *Lisān al-ʿArab* [The tongue of the Arabs] (3rd ed.). Dār Ṣādir.

Ibn al-Athīr, Ḍ. (n.d.). *Al-Mathal al-sāʾir fī adab al-kātib wa-al-shāʿir* [The flowing parable in the literature of the writer and poet] (A. al-Ḥūfī & B. Ṭabbānah, Eds.). Dār Nahḍat Miṣr.

Al-Rāzī, F. (1420 AH). *Mafātīḥ al-ghayb (Al-tafsīr al-kabīr)* [Keys to the unseen (The great exegesis)] (3rd ed.). Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

Al-Sakkākī, Y. (1987). *Miftāḥ al-ʿulūm* [The key to the sciences] (2nd ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Al-Biqāʿī, I. (1984). *Naẓm al-durar fī tanāsub al-āyāt wa-al-suwar* [Arranging the pearls: On the coherence of verses and chapters] (1st ed.). Dāʾirat al-Maʿārif al-ʿUthmāniyyah.